مساءً: .. طرقات سيدها على الباب بعد مجلس الأنس، يتبعها نزولها السلم و«اللمبة» فى يدها، تفتح له الباب: «مساء الخير يا أمينة».. كلمة يليها صعود إلى غرفة النوم، تعاونه فى ارتداء ملابسه، ينام، مجلس الفطور بطقوسه التى يسبقها العجين، فى حجرة الفرن، كانت أمينة تبدو كل صباح كأنها فى رقصة صوفية، حالة من الوجد غير المفهوم تنتابها وهى تؤدى واجبها فى تغذية العائلة بأنواع الفطائر والحساء، كخادمة كانت ترقص وكأم وجسد وروح كانت تطير فرحاً بإسعاد الآخرين، ولعل ذلك أكثر ما جعل روحها تتطهر - وإن كانت لم تلوث من الأصل - وربما كانت أقرب الأرواح - فى «الثلاثية» - شبها فى مسيرها بروحها، روح ابنها «فهمى» التى فاضت فى ساحة الواجب أيضاً، أمام بنادق الإنجليز وكان رحيله انكساراً لم تقم بعده قائمة للفرح فى حياة «أمينة» وعائلة السيد «أحمد عبدالجواد» كلها.

تظل أمينة طوال «الثلاثية» شخصية كأنها فى عينى العابر لا تتطور إلا قبل النهاية بقليل، وكان نجيب محفوظ بارعاً فى تكريس تلك الصورة، فهى بتكوينها الروحى والنفسى لم تكن فى حاجة إلى أى تطور، فقد كانت تشبه «دفقة» الحب التى تولد فى القلب، لا تصغر ولا تكبر، تظل جمرة مشتعلة مهما تكاثر عليها الرماد لا تموت، تشعل القلب والبدن بالبهجة والألم اللذين يشبهان طيفاً جميلاً شجياً كالذى أرخته «أمينة» على طول «الثلاثية» وعرضها.